ا لجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة

محاضرات مقياس

نص أدبي قديم (نثر)

محاضرات مقدمة للسنة الأولى ليسانس (LMD)

الدكتور:

بن مسعود قدور

السنة الجامعية 2020- 2021

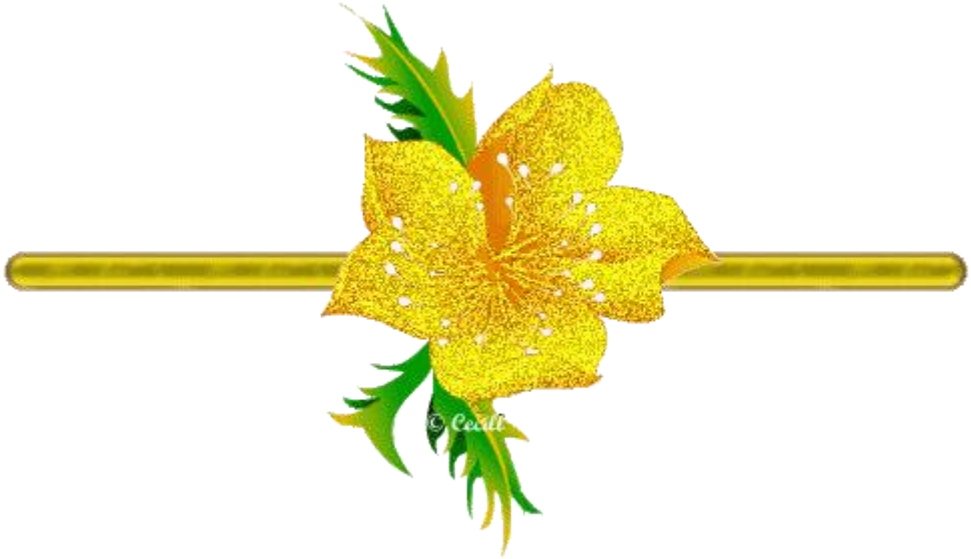

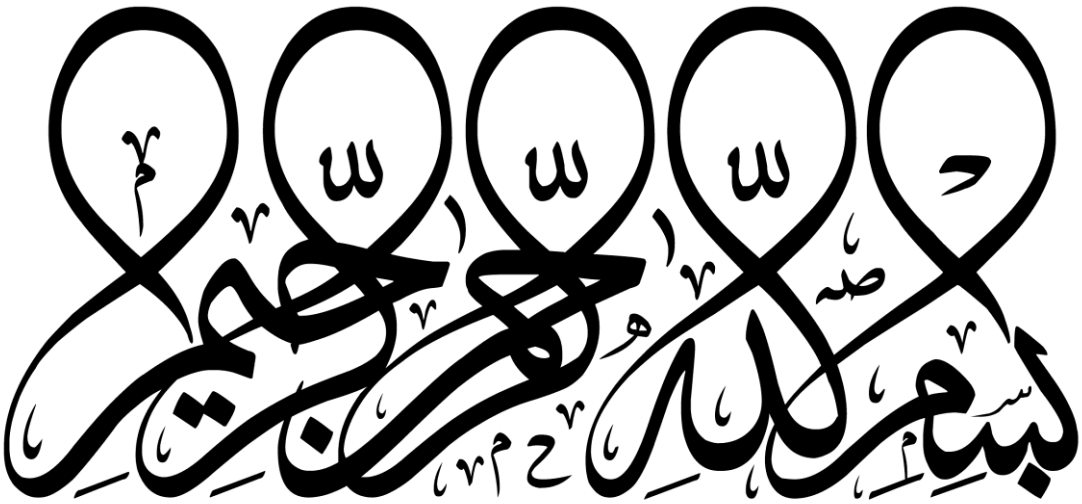

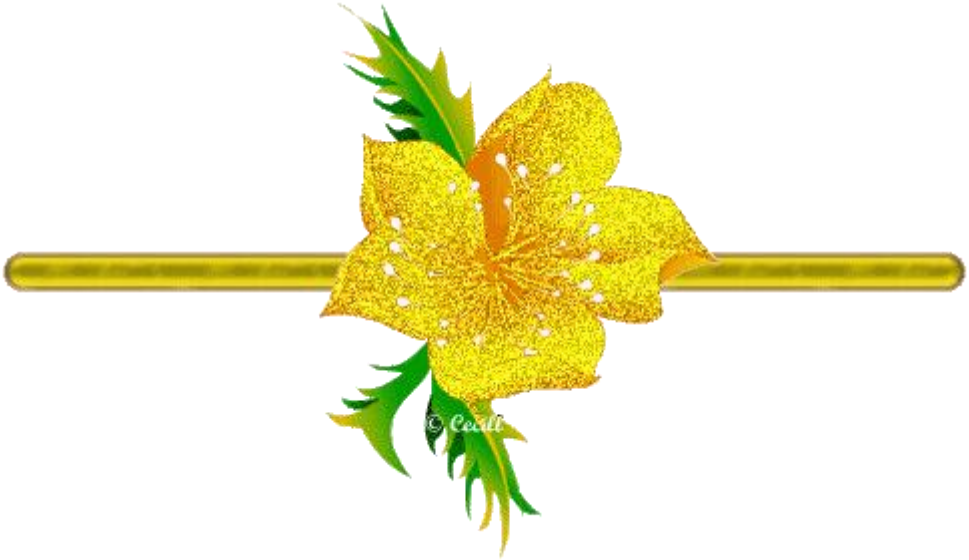

محاضرات مقياس نص أدبي قديم (نثر)

موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس (LMD)

مفردات محاضرات: نص أدبي قديم (نثر)

المحاضرة الأولى :فنون النثر الأدبي القديم

المحاضرة الثانية : أنواع النثر الفني للأدب القديم :

المحاضرة الثالثة : حركة الترجمة والتدوين

المحاضرة الرابعة: فن الترسل

المحاضرة الخامسة : الوصايا

المحاضرة السادسة : التوقيعات

المحاضرة السابعة : فن المقامة

المحاضرة الثامنة: الأمثال

المحاضرة التاسعة : أدب الرحلات

المحاضرة الأولى

فنون النثر الأدبي القديم

المحاضرة الأولى :فنون النثر الأدبي القديم

مصطلح الأدب:

قبل أن نتعرف على كلمة (النثر) أو النثر الفني ودلالاتها، نعرج على كلمة (الأدب) التي تعني في تداولنا اليومي لها فن الشعر وفن النثر بأوسع المعاني. وهذه المدلولات لم تكن معروفة على هذا النحو عند عرب الجاهلية ولا في صدر الإسلام.

وأصل كلمة أدب في اللغة الدعاء، ومنه الدعاء إلى وليمة: يقال أدب القوم يأدبهم أدبا إذا دعاهم إلى طعام يتخذه، إذن لفظ "الأدب والمأدبة" في عرف الجاهليين واحد، يفيد الدعوة عامة، وإلى إلى الطعام خاصة، والداعي إليها يدعى "الآدب".

وقد تطور معنى الكلمة بتطور حياة العرب، وانتقالها من دور البداوة إلى المدنية وفي العصر الإسلامي تأكد هذا السلوك النفسي الحسن لمدلول (الأدب) وتوسعت دلالاته؛ فأصبحت تعنى الكلمة فيما تعني: الترويض والتهذيب، بتقويم الأخلاق، والكرم والتسامح ومحبة الفضيلة وحسن التناول، وبهذا المعنى كان في بداية الإسلام، فقد ورد لفظ الحديث الشريف، (أدبني ربي فأحسن تأديبي).قبل أن ينحصر بعد ذلك في الدلالة على طبقة المعلمين والمؤدبين للصبيان، أي رجال التربية والتعليم أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي، والذين أطلق على مهنتهم تلك مصطلح (حرفة الأدب) ومع الوقت، وباتساع الدراسات، ضيق مدلول الكلمة فاقتصرت على ما أجيد من الكتابة والكلام، سواء أكان ذلك المنظوم أم المنثور.

ولعل الجاحظ المتوفى سنة 255 ه أول من رسم المعنى الصحيح الذي نتداوله اليوم من كلمة الأدب من خلال اشتغاله بالبيان العربي وفصاحة القول من جهة، مصطلح النثر أو "النثر الفني العربي":

إذ يعتبر النثر أحد قسمي القول، فالكلام الأدبي كله إما أن يصاغ في قالب الشعر المنظوم وإما في قالب القول المنثور. ولابن رشيق المسيلي القيرواني" وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، لم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، وإن كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية.

ويشرح ابن رشيق أن أصل التسمية في المنظوم وهي من نظم الدر في العقد وغيره، إما للزينة أو حفظا له من التشتت والضياع، أما إذا كان الدر منثورا، لم يؤمن عليه ولم ينتفع به.

من هنا حصلت عملية تشبيه الكلام الأدبي بالدور والمجوهرات وتوهم الناس أن كل أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة. وذلك بالنظر إلى سهولة حفظ الكلام المنظوم واستظهاره بسبب الوزن، وانعدام الوزن في الكلام المنثور يجعه عرضة للنسيان والضياع، وذلك وقت كان الناس فيه يتداولون النصوص الأدبية مشافهة دون الكتابة في هذا العصر الجاهلي والإسلامي الأول، وقد زال هذا التفاضل في عصور التدوين وكتابة النصوص كما في زماننا الحاضر، بحيث اختص كل من النثر والشعر بمجالات في القول تجعله أليق به. ويعتقد ابن

محقا: إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، وهو بذلك تلك الحقبة الزمنية قبل الإسلام وبدايات العهد الإسلامي تخصيصا.

وجاء هذا ردا كافيا علي الذين ينفون وجود نثر فني عربي جيد قبل الإسلام، وإنما كان ضياع ذلك النثر الجاهلي أو اختلاطه بسبب طبيعته الفنية الخالية من الوزن. وهو لم يعن بذلك إلا النثر الفني أي الأدبي الذي يتوفر – كما ذكر بروكلمان – "على قوة التأثير بالكلام المتخير الحسن الصياغة والتأليف في أفكار الناس وعزائمهم". أما النثر الاعتيادي الذي يستعمل بين الأفراد في التداول اليومي الغرض الاتصال وقضاء الحاجات والثرثرة مما ليس فيه متانة السبك والتجويد البلاغي ولا قوة التأثير فلا يعتد به، وليس له قيمة اعتبارية في الدراسة الأدبية.

ما أسباب قلة النثر الجاهلي؟

إن ما روي من النثر الجاهلي قليل بالنسبة لما روي من الشعر وذلك للأسباب الاتية:

1. سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي.
2. الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.
3. قلة أو إنعدام التدوين.
4. الإعتماد على الحفظ والرواية.

المحاضرة الثانية

أنواع النثر الفني للأدب القديم

المحاضرة الثانية : أنواع النثر الفني للأدب القديم :

أنواع النثر الفني العربي قبل الإسلام:

بالرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذا موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فان الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة بعض الأنواع منها:

الخطابة، القصص، الأمثال، الحكم، الوصايا، النثر المسجوع.

أما ما سيتم التركيز عليه فسيكون حسب الأكثر انتشارا.

1/الخطـــابة:

هي فن مخاطبة الجماهير، بغية الإقناع والإمتاع، بكلام بليغ وجيز. فهي قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة لها. وهي من أقدم فنون النثر، لأنها تعتمد علي المشافهة، لأنها فن مخاطبة الجمهور بأسلوب يعتمد علي الاستمالة وعلي اثارة عواطف السامعين، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب، وجودة الإلقاء وتحسين الصوت ونطق الإشارة.

أما الإقناع فيقوم علي مخاطبة العقل، وذلك يقتضي من الخطيب ضرب الأمثلة وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين بعذوبة اللفظ ومتانة الأسلوب، وقوة التأثير، والاقتباس من القرآن الكريم، والسير على منهجه في الإقناع بالحجة والبرهان، والتأثير في الوجدان.

وقد أدت العوامل السياسية، والاجتماعية والثقافية والدينية إلى ازدهار هذا الفن ازدهارا كبيرا في عهد الأمويين، إذ تنوعت الخطابة واتسعت مجالاتها، ومن هذه الأنواع الخطابة السياسية، والخطابة الدينية، والخطابة الاجتماعية، وإلى جانب هذه الأنواع ظهر نوع آخر، هو المحاورات والأجوبة.

وعرف كثير من الخطباء البارزين في هذا العصر؛ يأتي في مقدمتهم الخلفاء والولاة من بني أمية والعمال الذين استعملوهم، وغيرهم.

ومن أشهر خطباء هذا العصر : الحجاج بن يوسف، وزياد بن أبيه، وعمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وغيرهم.

- أقسام أو أجزاء الخطبة:

للخطبة أجزاء ثلاثة هي (المقدمة – والموضوع – والخاتمة).

- أهداف الخطبة:

الإفهام والإقناع والإمتاع والاستمالة. وللخطابة مميزات تمتاز بها عن غيرها من الفنون، لذلك لا نستغرب أن يتحدث الجاحظ عن وجودها، ومنها:

1. لها تقاليد فنية، وبنيوية، وسمات.

2. لها زي معين وهيأة تمثيلية للخطيب، وأصول في المعاملة.

3. كما أنها تستدعي إحتشاد الناس من وجهاء القوم.

4. لها أماكن إلقاء هي نفسها أماكن التجمعات الكبرى (مضارب الخيام، ساحات النزول، مجالس المسرح، الأسواق).

- خصائص أسلوب الخطبة:

1. قصر الجمل والفقرات.

2. جودة العبارة والمعاني.

3. شدة الإقناع والتأثير.

4. السهولة ووضوح الفكرة.

5. جمال التعبير وسلامة الألفاظ.

6. التنويع في الأسلوب ما بين الإنشائي والخبري.

7. قلة الصور البيانية.

8. الإكثار من السجع غير المكلف.

- عوامل ازدهارها ورقيها:

1 . حرية القول.

2 . دواعي الخطابة كالحرب والصلح والمغامرات.

3 . الفصاحة .

- أنواع الخطابة:

تختلف باختلاف الموضوع والمضمون، منها:

الدينيـة: التي تعمد إلى الوعظ والإرشاد والتذكير والتفكير.

السياسية: التي تستعمل لخدمة أغراض الدولة أو القبيلة.

الاجتماعية: التي تعالج قضايا المجتمع الداخلية، والعالقة منها من أمور الناس، كالزواج....

الحربية: التي تستعمل بغية إثارة الحماسة وتأجيج النفوس، وشد العزائم.

قضائية: التي تقتضي الفصل والحكم بين أمور الناس، يستعملها عادة الحاكم أو القاضي.

ولقد اجتمعت هذه الخصائص في خطبة ل (قس من ساعدة الايادي) والجدير بالذكر أنه أول من قال في خطبته: (أما بعد) وتسمي (فصل الخطاب)، لأنها تفصل المقدمة عن الموضوع.

وقد اقترن موضوع الخطابة بالزعامة، أو الرئاسة للقبيلة أو القوم، كما اقترن من جهة أخرى بلفظ الحسام، فلا مجال لبروز الحسام قبل بروز الكلام، ولا مطمع لسيادة القوم إلا بعد إتقان فن القول، كما أن الخطابة قديمة الحضارات، وقدم حياة الجماعات، فقد عرفت عند المصريين، الرومان، اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد.

ومن النماذج التي تجسد سمات الخطابة في هذا العصر خطب الحجاج في أهل العراق؛ ومنها قوله : ولأضربنّكمِ ضربَ غرائب الإبل، فإنكم لكأهل ﴿قريةٍ كانتْ آمنةً مُطْمَئِنةً يأتيها رزقُها رَغَداً من كلِّ مكانٍ فكفرتْ بأنْعُم الله فأذاقَها اللهُ لباسَ الجوع والخوفِ بما كانوا يصْنَعون﴾، وإني والله لا أقولُ إلا وَفَّيتُ، ولا أَهُمُّ إلا أمضيَتُ.

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجّة الوداع :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم

عامي هذا في موقفي هذا.رأيها الناس إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا – ألا هل بلغت اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبدأ به عمي العباس بن عبد المطلب. دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية – ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. أما بعد أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان – ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. أما بعد أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق. لكم أن لا يواطئن فرشهم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن

لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه – ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

فلا ترجعن بعدى كافراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد. أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى – ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد قالوا نعم – قال فليبلغ الشاهد الغائب.أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم ورحمة الله.

خطب الحجّاج لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعدهم فقال :

أيها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه ومن استطال أجله فعلي أن أعجله ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ومن استطال ماضي عمره قصرت عليه باقيه إن للشيطان طيفا وللسلطان سيفا فمن سقمت سريرته صحت عقوبته ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة ومن سبقته بادرة فمه سبق بدنه بسفك دمه.

إني أنذر ثم لا أنظر وأحذر ثم لا أعذر وأتوعد ثم لا أعفو إنما أفسدكم ترنيق ولاتكم استرخى لبه ساء أدبه إن الحزم والعزم سكنا في وسطي وأبدلاني به سيفي فقائمه في يدي

في عنقي وذبابه قلادة لمن عصاني والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه.

خطبة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عند توليه الخلافة

وقف عمر يقول : (بلغني أن الناس خافوا شدتي، وهابوا غلظتي، وقالوا لقد اشتد عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، واشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟

ألا فأعلموا أيه الناس أن هذه الشدة قد أُضعفت –أي تضاغفت–، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعضهم ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق، وإني بعد شدتي تلك لأضع خدي على الأرض لأهل الكفاف وأهل العفاف. أيها الناس ! إن لكم عليّ خصالا أذكرها لكم فخذوني بها: لكم على ألا أجتبي[1] شيئًا من خراجكم وما أفاء[2] الله عليكم إلا من وجهه، ولكم علي إن وقع في يدي ألا يخرج إلا بحقه، ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى ولكم عليّ أن لا ألقيكم في التهلكة، ولكم عليّ أن أسدَّ ثغوركم إن شاء الله تعالى ، ولك عليّ إن غبتم في البعوث – أي المعارك–

[1] أجتبي : أجمع من خراجكم وتعني أيضا أصطفي.

[2] أفاء الله عليه أنعم وأعطى :(وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ)

أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله! وأعينوني على أنفسكم بكفِّها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضار النصيحة فيما ولاني الله من أمركم).

وهذا كله عن الخصائص الفنية لأسلوب وصية عمر – رضي الله عنه – فيما يتعلق بالألفاظ، فكيف المعاني؟

إن ميدانها لأرحب في استكناه الخصائص الفنية الرفيعة؛ لصدورها من شخصية فذة تتلمذت على شخصية فذة شخصية محمَّدٍ المعلِّم الأول للرعيل الأول من المسلمين وللمسلمين جميعًا، محمد الذي كانت الخطابة شعار دعوته إلى دين الله مُبتدِئًا بها خطيبًا غير شاعر، خطيبًا منذ نزل عليه قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُـؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: 94]؛ ولذلك جعل –صلى الله عليه وسلم– هذا اللون مِن الأدب "شعار كل إمام يَعتلي المنبر في الجمعة والعيدين، وموسم الحج الأكبر، وعند أخذ العُدَّة للجهاد، وفى كل أمر جامع لنشر فضيلة أو نهْي عن رذيلة، أو إعلان نصر، أو تأكيد وصية عامة أو خاصة، ولذلك كان أمراء جُندِه، وقُـوَّاد سراياه وخلفاؤه مِن بعده كلهم خطباء مصاقع"، يهزُّون أعواد المنابر بفصاحتهم التي لا تُجارى، وبلاغتهم التي تبلغ من القلوب أعماقها، ومن النفوس أغوارها، في طراز مِن ذلك الكلام الذي يَسبق معناه لفظه مِن غير إسفاف، ومِن غير تكلُّف.

وإذا كانت هذه الموضوعات التي مرَّ ذِكرُها في الكلام على خصائص الخطب هذه الموضوعات مِن أجلِّ المعاني السامية الشريفة التي تناوَلها خطباء الإسلام في كل عصر

ومنهم عمر بن الخطاب في وصيته تلك، ولا يَملك الناظر في وصية عمر، وفي المعاني التي كلامه عبر فقرات هذه الوصية إلا أن يقول: إن هذا النص الكريم – في معانيه الراقية – قد مِن هدْي الإسلام: كتاب الله وسنة رسوله، وعلى الرغم مِن تعدُّد الفقرات والجمل والتراكيب أُدِّيت بها هذه المعاني، فإن الناظر لا يجد معنى مستغلقًا ولا لغزًا غامضًا ولا مُعقَّدًا، وإنما هي مِن وحي الفِطرة وتأثير القرآن والحديث الشريف، وقد استطاع عمر – رضي الله عنه – أن في طريقة الأداء بين ما يتطلبه النص الأدبي مِن حسن اللفظ، وصفائه، وجزالته، وفخامته، ورِقَّته، وروعة المعنى، وتأثيره، وعمقه، وبُعدِه عن التعقيد.

ونصُّه "ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعاء، عليه ألف درهم فضة طيبة كيلا بالحديدة، ومتى دعاه بها أجابه، شهد الله والملكان". وبما أن مكة كانت مركزا تجاريا وكان كثير من القوم في ذلك الوقت تجارا فكان من الطبيعي أن يكثر عندهم هذا الضرب من الكتابة كي يحفظوا به حقوقهم.

المحاضرة الثالثة

حركة الترجمة والتدوين

المحاضرة الثالثة : حركة الترجمة والتدوين

حركة الترجمة والتدوين:

شهد عهد الوليد أيضاً حركة ترجمة ضخمة جداً كان لها أثر كبير في نهضة الحضارة الإسلامية، إذ أمر بتعريب دواوين الدولة الأموية كلها من الشرق إلى الغرب، وبتعريب كل ما في الدولة، وعاصره في حقبته خالد بن يزيد بن معاوية – رائد عصر الترجمة، ومن بدأت على عهده حركة الترجمة الحقيقية في العصر الأموي –، الذي كان مولعاً بالعلوم وأمر بترجمة الكثير من من اللغة الإغريقية إلى العربية، فأصبحت بهذا لغة العلوم كلها في الدولة الأموية بما في ذلك والصيدلة والكيمياء وغيرها هي اللغة العربية، وأصبح لزاماً على من يريد التعرف على هذه العلوم تعلم العربية، فأخذت اللغة بالازدهار، كما حث الخلفاء الآخرون مثل عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك على الترجمة وأمروا بترجمة الكثير من الكتب البارزة في العلوم والتاريخ والأدب. وقد ساعدَ على ازدهار حركة الترجمة وُجود الكثير من السريان متعلمي العربي، الذين قادوا الترجمة هذه، وساعدوا بشكل كبير جداً على انتشار المدارس والعلوم في العراق والشام. لكن الرُّغم من هذا فلا يتفق جميع المؤرخين على ريادة خالد بن يزيد في حركة الترجمة والتعريب ازدهارها في العصر الأموي، حيث شكك عدة مؤرخين أوروبيين بحجم حركة الترجمة في الأموي ومدى ازدهارها. ومع ذلك فإن ما وردَ عن حركات الترجمة والتدوين في العصر الأمويّ يدل على أن جذور هذه الحركة بدأت على أيام الدولة الأموية قبل أن تزدهر في أيام العباسيين،

لكن معظم ما كُتبَ وترجمَ وألف في العصر الأموي فُقدَ الآن ولم يصل منه إلى الوقت الحاضر سوى القليل جداً، وأغلب ما يُعرَف عن حركات الترجمة والتدوين[3] فيه مأخوذة من كتابات

[3] كما أطلق لفظ "ديوان " الديوان لغة: الدفتر يُكتب فيه اسماء الجيش و أهل العطاء، وجمعه دواوين.

الديوان اصطلاحا:

اختلف الباحثون في أصل هذه اللفظة، فقد ذهب أكثرهم إلى أن لفظ «ديوان» غير عربي، و قد أكد ذلك الأصمعي فذكر أن الديوان لفظ عجمي كما أشار إلى ذلك الصولي، إذ يرى أن الديوان «اسم فارسي تكلمت به العرب فقالوا دِيوان (بكسر الدال) ولم يقولوا دَيوان كما قالوا دِيباج ولم يقولوا دَيباج.

و لقد ذهب البعض إلى أن لفظ «ديوان» عربي، إذ يقال «دونته أي أتبتته» و إليه يميل كلام سيبويه و قد ذكر القلقشندي نقلا عن «النحاس» في صناعة الكتاب قوله، والمعروف في لغة العرب أن الديوان: الأصل الذي يرجع إليه و يُعمل بما فيه.

لقد أطلق لفظ «ديوان» أول الأمر على السجل الذي يثبت فيه أسماء الجند و المقاتلة حسب قبائلهم ومقدار أعطياتهم، وما ثبت فيه أيضا من أموال الفيء وغيره، ثم صار هذا اللفظ يطلق بعد ذلك على سجلات العامة، ويؤكد ذلك ما طبقت شهرته الآفاق من محاولة تعريب تلك الدواوين- أي السجلات- التي كانت تكتب باللغات الأجنبية، و نقلها إلى العربية في عهد عبدالملك . كما تطور مدلول هذا اللفظ فصار يطلق على الموضع الذي توضع فيه تلك السجلات وذكر الماوردي : "الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال و الأموال، ومن يقوم بها من الجيوش و العمال". وهناك ديوان الإنشاء (الرسائل)، ذكر «القلقشندي» أنه اسم مركب من مضاف وهو ديوان ، ومضاف إليه وهو الإنشاء، فإضافة الديوان للإنشاء تحتمل أمرين: أحدهما؛ إن الأمور السلطانية من المكاتبات و الولايات تُنشأ وتُبتدأ منه. والثاني؛ إن الكاتب ينشيء لكل واقعة مقالا. وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم

المؤرخين القدماء، وأما في العصر العباسي فقد كانت لا تزال الكثير من الكتب الأموية باقية، وكان لها دورٌ في تنشيط النهضة العلمية العباسية التي تمخضت عنها أعمال أكثر رقياً بكثير من أعامل العصر الأموي.

ومن المعروف أن عمر بن الخطاب أول من دوّن الديوان من العرب فب الإسلام، فعلى أثر الفتوحات، وبعد انت كثرت الأموال التي تردّ إلي الخلافة، أنشأ عمر بن الخطاب أربعة دواوين وهي :

1-ديوان الخراج والجزية : أو ديوان الجباية الذي يهتم بتسجيل الأموال الواردة إلى الخلافة وكيفية التصرف بها.

2-ديوان الجند : وهو الذي يهتم بتسجيل المحاربين وصرف نفقاتهم.

3-ديوان العطاء : أو ديوان المال وعمله الأساسي توزيع الأموال على الرعية .

عنه بـ «ديوان الرسائل» تسمية له بأشهر الانواع التي تصدر عنه، لأن الرسائل اكثر الأنواع الكتابية وأعمها وربما قيل «ديوان المكاتبات». ثم غلب عليه هذا الاسم واشتهر به.

وهذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام و ذلك أن النبي (ص) كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه وكتب إلى من قرُب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله بكتبه، مثل رسائله التي كتبها إلى الملوك الأعاجم و هذه المكتوبات كلها متعلقة بديوان الإنشاء.

4-ديوان الإنشاء: أو ديوان الرسائل والذي يهتم بالمكتبات وحفظ الوثائق الرسمية، ثم بعده عبد الملك بن مروان الذي اهتم بحركة التعريب[4]، اهتماما واسعا ومهما في العصر الأموي.

[4] كان للحركة العلمية في العصر الأموي دورا كبيرا وبارزا جداً في التمهيد للنهضة العلمية التي سادت في العصر العباسي .فعلى الرُّغم من أن العصر الذهبي للعلوم والحضارة الإسلاميَّين كان في العهد العباسيّ فقد للأمويين دورٌ بارز في التمهيد لهذا الازدهار والتهيئة له، إذ أنهم أرسوا أسس التراث العلميّ الذي بنى عليه العباسيون. ومن أهم هذه التطوُّرات التي هيأت للنهضة العلمية العباسية حركة التعريب في عهد عبد الملك مروان،[1] الذي جعل من اللغة العربية لغة رسمية للدولة أصبحت تستخدم في كل أصقاعها من المشرق إلى المغرب، كما ساهمَ الوليد كثيراً أيضاً بإنشائه المدارس والمستشفيات تحت رعاية الدولة التي ساهمت هي الأخرى في النهضة الإسلامية اللاحقة.[2] وقد كان من أهم الإنجازات في تطوير الحركة العلمية في العصر الأمويّ تدوين العلوم وتعريبها للمرَّة الأولى، وهو ما أتاح لعلماء العرب والمسلمين الاطلاع عليها بسُهولة، كمان أن اتساع الدولة ودخول شعوب جديدة في الإسلام أتاح التعرف على حضاراتها والاستفادة من تلك المعارف في تطوير الحضارة الإسلامية .

كان من أهم مجالات الازدهار في العصر الأمويّ إجمالاً العلوم الدينية واللغوية والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والطب.[4] وقد انقسمت الحركات العلمية في هذا العصر إلى أربع حركات، وهي الحركة الدينية (المعنية بعلوم الدين، مثل تفسير القرآن والأحاديث والتشريع (والتاريخية (المعنية بتوثيق التاريخ والقصص والمغازي ونحوها) والأدبية (المعنية بالشعر والنثر وما إلى ذلك) والفلسفية (المعنية بالمنطق والكيمياء والطب وما شابهها). لكن الأمويين لم يَميلوا إلى دعم العلوم، فلم يَدعمَ خلفاؤهم أمراؤهم سوى الحركتين الأدبية والقصصية من بين كل هذه الحركات العلمية، فلم يَكن يُمتعهم ويجذبهم

لكن على الرُّغم من كون أغلبية العلماء أعاجم من الموالي فقد ظلَّ هناك عددٌ من العلماء العرب المعروفين في العصر الأموي، منهم على سبيل المثال سعيد بن المسيب وعلقمة بن قيس وشريح القاضي ومسروق بن الأجدع وإبراهيم النخعي وغيرهم.

ولم تكن توجد في العصر الأموي "تخصصات" في العلوم، حيث كان ذلك الوقت أبكر ظهور مثل هذا الشيء، فلم يَكن هناك عالم بالحديث فحسب أو التفسير فحسب على سبيل المثال، إنَّما كان العالم الواحد يعرف في التفسير والحديث المغازي والتاريخ والأدب كلها معاً، حيث كان الوقت مبكراً آنذاك لكي تتخصَّص العلوم ولم تكن قد صُنِّفت بعد وعُرِفَت بالشكل الكافي .وقد كان الوضع هكذا عندَ التعليم أيضاً في البداية، فيَحكي المعلم في الجلسة الواحدة علوم كثيرة، لكن مع الوقت بدأت الجلسات التعليمية بالتخصُّص على الرغم من معرفة المعلمين فعلياً بالكثير من العلوم[5].

سوى الشعر والخطب والقصص، وربَّما كان ذلك بسبب نزعة عربية جاهلية عندهم، ولا يُستثنى من هذه سوى خالد بن يزيد بن معاوية، الذي كانت لديه نزعة فلسفية فوق نزعته الأدبية، ودعمَ بشدَّة الحركات العلمية في مجالات الطب والكيمياء والفلك، بالإضافة إلى عمر بن عبد العزيز الذي دعمَ الحركة الدينية.

[5] كان جلُّ من برعوا في العلوم خلال العصر الأمويّ – مثله في ذلك مثل العصر العباسي – من الموالي الأعاجم، إذ كان العرب في تلك الفترة لا يَزالون أهل بادية وانشغل معظمهم بالفتوحات، وأما الموالي فقد

كانوا قادمين من بلاد أكثر حضارية، وذلك ما جعلهم أكثر قابلية لحمل العلوم وممارستها من العرب، ما رواه المؤرخ ابن خلدون. حتى أنه يُروى في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه:

«قال بن أبي ليلى: قال لي "عيسى بن موسى" (وكان دياناً شديد العصبية، أي شديد التعصب للعرب): من كان فقيه البصرة؟ قلتُ: الحسن بن أبي الحسن. قال: ثم مَن؟ قلتُ: محمد بن سيرين. قال: فما هُما؟ قلت: مَوْلَيان. قال: فمَن كان فقيه مكة؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، ومجاهد وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار. قال: فمَا هؤلاء؟ قلت: موال. قال: فمَن فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم، ومحمد بن المنكدر، ونافع بن أبي جنيح. قال: فمَا هؤلاء؟ قلت: موال. فتغيَّر لونه، ثمَّ قال: فمَن أفقه أهل قباء؟ قلت: ربيعة الرأي وابن أبي الزناد. قال: فمَا كانا؟ قلت: من الموالي. فاربدَّ وجهه، ثمَّ قال: فمَن فقيه اليمن؟ قلت: طاووس وابنه وابن منبه. قال: فمَن هؤلاء؟ قلت: من الموالي. فانتفخت أوداجه وانتصبَ قاعداً، قال: فمَن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني. قال: فمَا كان عطاءٌ هذا؟ قلت: مولى. فازداد وجهه تربُّداً واسودَّ اسوداداً حتى خفته، ثمَّ قال: فمَن كان فقيه الشام؟ قلت: مكحول. قال: فمَا كان مكحولٌ هذا؟ قلت: مولى. قال: فتنتفَّس الصُّعَداء، ثم قال: فمَن كان فقيه الكوفة؟ قلت: فوالله لولا خوفُه لقلتُ الحكم بن عتبة وعمار بن أبي سلمان، ولكن رأيتُ فيه الشرّ، فقلت: إبراهيم النخعي والشعبي. قال: فمَا كانا؟ قلت: عربيَّان. قال: الله أكبر! وسكن جأشه.»

المحاضرة الرابعة

فن الترسل

المحاضرة الرابعة فن الترسل

- المعنى اللغوي العام للكلمة:

ورد في المعاجم العربية قولهم: ترسَّل في قراءتة؛ إذا اتأد و تمهل و توقّرفيها أو رتلها، و الترسل في الكلام؛ التوقر، والتفهم، و الترفق من غير أن يرفع المرء صوته شديداً. والترسل في القراءة و الترسيل واحد: وهو التحقيق بلاعجلة. و الترسل؛ أي أنشأ رسالة وأتي بكلامه مرسلاً غير مقيد بقافية أو بسجع، فهو فن انشاء الرسائل.

ونرى أن مصطلح الترسل عند المتأخرين قد أخذ معني أوسع من كتابة الرسائل، و ذلك بتعميم معناه على كل ما يُكتب وينشأ في ديوان الدولة الذي كان يُعرف آنذاك بـ «ديوان الإنشاء»، و هـــذا المفهوم كان يعرف حتى أواخر القرن الخامس الهجري باسم الكتابة مجرّدة من أيّ قيد، وكان الديوان يُعرف في القرنين الأول والثاني الهجريين باسم «ديوان الرسائل»، إذ إنّ الرسائل غالبة على ما يُصدر عن هذا الديوان، إلاّ أن دوره اتّسع مع اتساع شؤون الدولة وحاجات المجتمع الإدارية، فتعدّدت موضوعات الكتابة و إن ظلّت الرسائل من

ونجد بعض الباحثين في العصر الحديث يستعملون الترسل بمعناه الإصطلاحي،-أي الرسائل- فيقول «أنيس المقدسي» مثلاً عن عبد الحميد الكاتب: «و أمّا الذي نقله عن الفارسية مما لم يكن شائعاً في الترسل العربي سابقا، فهو التحميدات الطويلة، والتبسط في عرض الفكرة، «وعمر فرّوخ يتحدّث في كتيبه«الرسائل و المقامات» بايجاز تحت عنوان «التدوين الإداري و

الترسل الاول» عن نشأة دواوين الرسائل و تطورها من أيام النبي (ص) إلى أواخر العصر الأموي، فيقول في جملة كلامه:«إنّ الترسل إذا كان معروفاً عند العرب، فإنّ عبدالحميد قدجعله فنّا له قواعده وأصوله، ولاشك في أنه أوّل من أطال الرسائل ،...وقد صرف عبدالحميد الترسل أيضاً من الناحية الإدارية إلى الناحية الإخوانية .«و يقول في كتاب «تاريخ الادب العربي» :«كان الترسل الفنّ الذي استجّد في العصر الأموي، أوالفنّ الذي أصبحت له، في ذلك العصر، حدوده و شروطه الثابتة و خصائصه المميزة على الأقل».

فيبدو لنا أنّ أبرز المعاني اللغوية لكلمة الترسل، وهو التمهل، و الترفق، يكون ذا صلة عميقة وقوية بجوهر المعنى الاصطلاحي للترسل، أي كتابة الرسائل و فن إنشائها ،إذ إن هذا المعنى يحتوي ذلك المعنى اللغوي، لأن كتابة الرسالة يغلب عليها أن تتسم بتمهل وترفق من الكاتب، إذ يتروي، ويتأني، ويحكّك فيها وينقّح ذلك، لتوفر الوقت والفراغ له، والعزلة التي يكون فيها غالبا عند كتابتها، فيكون بذلك قادرا على المحو، والإثبات، والتغيير، بعيداً عن التعجيل الذي يوقع في الزلل مما يحيط بالخطباء الذين يرتجلون خطبهم بديهة.

وقد شكّ بعض الباحثين الذين تطرقوا إلى دراسة النثرالجاهلي كـ «طه حسين» الذي ينفي كلية وصول أي نموذج من النثر الجاهلي .و«زكي مبارك» حيث يقول: «إن أكثرما نُسِب إلى الجاهليين غير صحيح.» ويواصل كلامه و يقول في موضع آخر: «والخطب والوصايا و الرسائل التي نُقلت إلينا على أنها جاهلية هي موضع شك».

الرسائل المدونة و شكوك الباحثين في صحة تلك الرسائل المدونة.

والقاعدة في نقل رسائل ذلك العصر كانت المشافهة، و في ذلك يقول أحمد زكي صفوت: "إن جمهرة العرب في ذلك العصر كانت متبدية، فلم تكن الكتابة فيهم فاشية ، ولذا كانوا يعتمدون في مراسلهم على المشافهة، فيبعثون برسالاتهم- ويمكن المراد بأن الرسالات السماوية المنزلة على الرسل-شفهية مع أبناء ينتخبونهم لإبلاغها، وكانوا يحتفظون بآثارهم الأدبية، فيستظهرونها في الصدور، ويتناقلونها على الألسن" . ولاشك في أن المشافهة لاتكفي لحفظ النصوص النثرية و نقلها من جيل إلى جيل، لصعوبة ذلك على الذاكرة، و لاختلاطها بالكلام اليومي للمرء،و لتأثرها بأساليب الناقلين المختلفين. فأقبل العرب إلى كتابة الرسائل على شكلها التدويني.

وظلت الرسائل المدونة أطول بقاء من الرسائل الشفوية و يمكن روايتها و نقلها من جيل إلى جيل، لأن الكتابة كفيلة بحفظها، و هي لذلك أدق رواية و أوثق مضموناً من الشكل الشفوي.

إذن كان الترسل العربي موجوداً في العصر الجاهلي وبأسمى أشكال التعبير الأدبي آنذاك وهو الشعر. وكانت الرسائل الشعرية تمثل الوجه الحقيقي الأصيل للترسل الجاهلي ، إذ الأمية في الجاهلية على العرب، فاعتمدوا لذلك في تواصلهم و تفاهمهم عن بعد على ما سهل

و حفظه وتداوله في البوادى والحواضر على حد سواء، فكانت الوسيلة المثلى لتحقيق هذه الغاية آنذاك هو الشعر الذي ذكر القدماء منزلته الرفيعة في الحياة الثقافية للعرب.

وكان للعرب في الجاهلية بعض التقييدات الشعرية القليلة، إلا أنها لم تتحول إلى حركة تدوين حقيقي منظم للتراث الشعري آنذاك، و أبرز هذه التقييدات- تقريباً- كانت المعلقات.

تحدثنا في هذا المبحث عن وجود الكتابة بين الجاهليين، لكن نحن لانقصد بأن كل عربي آنذاك كان يعرف الكتابة و إنما نقصد أن الكتابة كانت أمرا معروفا عندهم إلا أن الأمية كانت اكثر شيوعا و انتشارا.فقد عُرف بينهم من يكتب لهم و لو بكتابة ساذجة وكان العرب قبل الإسلام يهتمون بالكتابة و استعملوها في شؤون الحياة ، كتدوين العقود و المواثيق، و الوثائق السياسية و التجارية و شؤون الأدب والشعر وكل جوانب الحياة، فلم تكن الأمة أمية بمعني أنها تجهل القراءة و الكتابة، فإن نزول القرآن بالعمق الفكري والأسلوب البليغ يبيّن أن هناك أمة لديها القدرة على فهمه و حمل رسالته.

وأشرنا إلى الآيات القرآنية التي تدل على معرفتهم الكتابة مثل الآية التي تشير إليها)... فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم...) وفهمنا بأن الأمية، ليست الأمية الكتابية و لا العلمية، و المراد «الأمية الدينية»، أي لم يكن لهم قبل القرآن كتاب ديني، فلذا كانوا أميين دينياً ولم يكن لهم مثل ما كان لأهل الكتاب من اليهود و النصارى.

وعلمنا بأن العرب في جاهليتهم كانوا أميين و قلّ بينهم الكاتب القارئ ، و كانوا قبل الإسلام و في صدره يكتبون على الرق و عسب النخل و في عظم أكتاف الإبل و الغنم .و ورود أداة الكتابة في القرآن وأشعار الجاهليين دليل على استعمال الأداة الكتابية وشيوعها بينهم.

وعلى كل حال فهذه العسب ،والرق، والقرطاس، لا تساعد على انتشار العلم لقلتها، و عدم صلاحيتها. فهي لا تصلح لشعب يريد أن يتعلم ويدون العلم فانتشرت الكتابة، ودوّنت العلوم النقلية–علوم القرآن والحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة و الأدب– ، والعلوم العقلية – من علوم الرياضية و المنطق و الفلسفة و الكلام– في أقل من خمسين عاما من آخر الدولة الأموية إلى صدرالدولة العباسية . و ساعد على هذه الحركة العلمية الواسعة والميل إلى تدوين العلم و نقله من المشافهة إلى الكتابة، اتساع صناعة الورق.

الترسل في العصر الإسلامي – الرسائل النبوية الخاصة

و هذا لون آخر من الرسائل النبوية اتسمت بطابع خاص ميزها عن مكاتباته الأخرى. و قد تناولت هذه الرسائل موضوعات شتى و عرضت لأمور كثيرة متباينة، مثل ما كتب إلى عماله و امراء سراياه. و قد

مفهوم الترسل :

ورد استعمال كلمة "الترسل" في كتابات الأدباء، والنقاد، والبلاغيين، في القرنين الرابع ،والخامس الهجريين على وجه الخصوص بمعني كتابة الرسائل، وكانت أقدم اشارة صريحة إلى

الاستعمال بهذا المفهوم الإصطلاحي الذي يدلّ على هذا النوع، تلك التي وردت عند "ابن الكاتب"من القرن الرابع، حيث يقول: «الترسل من: ترسلت، ترسلا و أنا مترسل، كما يقال: توقفت بهم، أتوقف، وأنا متوقف. ولايقال ذلك إلا فيمن تكرّر فعله في الرسائل. ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة: أرسل، يرسل، إرسالا، و هو مرسل، و الإسم الرسالة. أوراسل، يراسل، مراسلة، وهو مراسل، و ذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة .«ونفهم من هذا القول، بأن معنى الترسل يكون كتابة الرسائل بكثرة ويكون هذا النوع الادبي عادة في دواوين الدولة خدمة الخلفاء والوزراء و الولاة و المتصرفين في إدارة شؤون الخلافة والمجتمع في شتى المناصب الرفيعة.

وقد استعمل لفظ" الترسل" في القرن الخامس الهجري، مصطلحاً دالا على مفهوم "كتابة الرسائل "، كما قال المرزوقي:« إن المقصود من الترسل هو "كتابة الرسائل"، إذ كان مورده على أسماع مفترقة من خاصي و عامي، و أفهام مختلفة من ذكي و غبي، و للمترسل أمور لابدّ من مراعاتها: منها تبيين مقادير من يكتب عنه وإليه حتى لايرفع وضيعا و لايضع رفيعا، و أن يعلم أوقات الإسهاب و التطويل، والايجاز والتخفيف، فقد يتفق مايحتاج فيه إلى الإكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة و يتفق أيضا ماتغني فيه

تفاوتت تلك الرسائل في مواضيعها و أغراضها. و كان غرض تلك الرسائل تفقيه العمال بأمور الدين وسياسة الرعية وجباية ما عليهم من صدقة أو جزية و غير ذلك.

خصائص رسائل النبي (ص):

تتميز الرسائل النبوية بلغتها المترسلة وميلها إلى الإيجاز والسهولة مع البعدعن الإطناب و المبالغة، إذ يعتمد على اللمحة و الإشارة دون التفصيل والإسهاب، وكانت بعيدة عن التكلف، خالية من عبارات التفخيم، و لها اوضاع خاصة قلما تعثر عليها في غيرها من الكتب، و تتابع في كثير من عباراتها بعطف أو غير عطف دون تكلف للتعادل بينها.

و يشير «محمد كرد على» إلى سبب ذلك حيث يقول في كتابه: "كان الرسول يتوخى إذا كتب لغير العرب أن يوجز القول و يقل من اللفظ الذي لا يتفهمه كل انسان حتى يسهل نقل كلامه إلى ألسن من كتب إليهم من غير العرب،كما كان إذا خاطب قبائل من قريش، أو كاتبهم يستعمل ألفاظا مألوفة لهم لا يعرفها القريشيون، ذلك لأن مقصده الإفهام. والبليغ من الكلام ما فهم و أبقى في النفس أثرا".

الإشارة و يجري مجرى الوحي في الدلالة

وفي القرن الثامن الهجري ألّف «شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي» (م 725 صاحب ديوان الإنشاء بدمشق، كتاباً تحت عنوان «حسن التوسل إلى صناعة الترسل» و يدور حول كتابة الرسائل الديوانية.

وفي أوائل القرن التاسع للهجرة ألـّف «القلقشندي» (م 821 هـ)كتابه الضخم «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» في هذا الموضوع، وكانت التسمية الغالبة على كتابة الدواوين في عصره هي صناعة الإنشاء، والترسل والمكاتبات أعظم كتابة الإنشاء و أعمها من حيث إنه لايستغني عنها ملك ولا سوقة وهو يرى أن المقصود الأعظم من النثر هو«الخطب والترسل».

- وجود الرسائل:

عرف الإنسان منذ اكتشافه الرسائل وسيلة للإتصال والتفهام والإبلاغ عن بعد، ثلاثة أشكال للتعبير عن مضمونها و إبلاغه إلى الآخر. و تمثل هذه الأشكال، ثلاث مراحل تاريخية أساسية مرت بها الرسائل في طريق تطورها.

واستعمال الرسائل بأشكالها المختلفة، لازمة من لوازم الحياة التي لا يمكن الفكاك منها، وقلنا: إن الكتابة كانت شائعة بين العرب في العصر الجاهلي و أشرنا إلى موضوعاتهم الكتابية و نحن نقول الآن كانت بينهم رسائل، لكنها ضاعت لأسباب عديدة؛ منها: ضعف انتشار الكتابة ،وندرة أدواتها، وقلة استعمالها، مما يضعف الإعتماد على الكتابة لتكون أداة عملية سهلة لكتابة الرسائل وتبادلها في المجتمع الجاهلي، ومنها خلو الكتابة العربية في الجاهلية من النقط والإعجام، مما كان يدعو الكاتبين إلى إعتماد الإيجاز في الكلام. فهذه العوامل أدت إلى قلة استعمال الرسائل المدونة.

- أشكالها: عرف الجاهليون جميع أنواع الرسائل، و هي: الإشارية، والشفوية، و التدوينية. أشير هنا إليها بصورة موجزة.

- الرسائل الإشارية:

عرفت الأمم القديمة والحديثة أنواعا شتى من الإشارات، واستعملها الأفراد وسيلة من وسائل الإتصال والإبلاغ و التفاهم ويُعدّ الرسائل الإشارية من أقدم أشكال الرسائل من الناحية التاريخية وكانت هذه الرسائل عند العرب على شكلين؛ الأول: الشكل المادى[6] والثاني الشكل اللغوي[7]

[6] شكل مادي : وكان من أبرز أنواعه إشعال النيران في أعالي الجبال وعلى المرتفعات المشرفة، اعلاماً بشيء ما يتفق عليه عادة بين طرفين؛ يكون أحدهما مرسِلاً و الآخر ملتقياً، فاذا أشعل المرسِل هذه النيران، فهم منه الملتقي المعنى المصطلح عليه بينهما.

[7]الشكل اللغوي: الذي يعتمد الرمز وسيلة لنقل معانية، وهومن أنواع الإشارة، إذ يكون ظاهر الكلام فيه عاديا ساذجا، بل يدل أحيانا على هذيان المرسل إلا أن يكون مضمونه عميقا ويحتاج إلى رجل فطن ليستخرج منه المغزى المراد به.

وروي أن يوما معدودا من أيام العرب يُعرَف بـ «يوم خزازى»، واجتمعت قبائل ربيعة ومضر، وعليها كليب بن ربيعة التغلبي، فتوافوا بخزازى-وهو اسم جبل-لقتال جيش من حمير يقوده صهبان. فوجه كليب السفاح بن عمرو أمامه، وأمره إذا التقى بالقوم أن يوقدوا نارا علامة جعلها بينه وبين صهبان، فسار السفاح ليلاحتى وافى معسكر الملك بخزازى فأوقدوا نارا، فأقبل كليب في المجموع نحو النار، فوافاهم صباحا، فاقتتلوا فـقُـتل الملك صهبان، وانفضت جموعه.

- الرسائل الشفوية

أتى هذا الشكل مرحلة تالية بعد الشكل الإشاري ، واتسع في غياب الخط والتدوين وموادهما ،لأنه يعتمد بطبيعته على الألفاظ اللغوية التي تؤلف فيما بينها كلاما مفهوما يحمله رجل بعد أن يحفظه من المرسل ليبلغه إلى المرسَل إليه بنصّه الحرفي الذي قاله المرسِل أو معانيه الجوهرية التي أرادها المرسِل إن أمكن، وهذا أمر نادر الوقوع عادة.

-الرسائل التدوينية:

إنها المرحلة الثالثة في تاريخ تطور وسيلة الإبلاغ من طريق الرسائل، ولابد من أن يكون ظهوره مرافقا للبدايات الأولى لنشأة الخط ، و ازدهار استعماله و موافقا لاختراع الإنسان مواد الكتابة التي تَيسّر وضع هذه الوسيلة المهمة في خدمة التواصل و التفاهم المشترك بين البشر أفراداً و جماعات.

ومن المسلم به أن الرسائل التي وصلت إلينا من هذا العصر تكون خلاصة لمضمون الشفوية و هذا الأمر يخرجها من نوع الوثائق المؤكدة التي قد تنفع في التاريخ للعصر الذي

وتعدّ النار في الليل من أهم الرسائل البصرية، و لذا كان أجواد العرب في الجاهلية يوقدون النار على شرف من الأرض ليهتدي بها الساري إلى بيوتهم ليَفْروه و يقوموا بحقه من الضيافة ، وكانت لذلك تُدعى "نار القِرى" ،نظرا للوظيفة التي تؤديها، وإنما هي في حقيقة الأمر رسالة بصرية بسيطة بمنزلة إرسال دعوة إلى السارين والمنقطعين من أبناء السبيل حتى يقدموا على بيت صاحب هذه النار.

إليه. يضاف إلى ذلك عدم الكتابة آنذاك و لذلك قد سقط عدد كبيرمن الرسائل في ذلك العصر إلا ما جمعه أحمد زكي صفوت في كتابه وسماه "جمهرة رسائل العرب".

المحاضرة الخامسة

الوصايا

المحاضرة الخامسة : الوصايا

الوصايا :

المفهوم اللغوي : وصى، أو أوصى الرجل بمعنى ؛ عهد إليه.

المفهوم الاصطلاحي :الوصية من عند الله إنما هي فريضة، يقول تعالى:" (يوصيكم الله في أولادكم) وسميت بالوصية أيضا لاتصالها بأمر الميت، وتعني كذلك كلمة وصى الشيء وصياً أي اتصل، ووصله، فقد قيل لعلي بن أبي طالب(ع) " الوصي" لاتصال نسبه بنسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الوصية: هي من ألوان النثر التي عرفها العرب في الجاهلية، وهي قول حكيم صادر عن مجرب خبير يوجه إلي من يحب لينتفع به، أو من هو أقل منه تجربة.

أجزاء الوصية:

المقدمة: وفيها تمهيد وتهيئة لقبولها.

الموضوع: وفيه عرض للأفكار في وضوح وإقناع هادئ.

الخاتمة: وفيها إجمال موجز لهدف الوصية.

خصائص أسلوب الوصية:

1-دقة العبارة ووضوح الألفاظ.

2-قصر الجمل والفقرات.

3-الإطناب بالتكرار والترادف والتعليل.

4-تنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء.

5-الإقناع بترتيب الأفكار وتفصيلها وبيان أسبابها.

6-الإيقاع الموسيقي، إذ يغلب عليها السجع، لتأثيره الموسيقي.

7-اشتمالها على كثير من الحكم.

8 -سهولة اللفظ، ووضوح الفكرة.

وهناك فرق بين الوصية والخطبة ألاو هو:

أن الخطبة: هي فن مخاطبة الجماهير لاستمالتهم وإقناعهم

أما الوصية : فهي قول حكيم لإنسان مجرب يوصي به من يحب لينتفع به في حياته.

ومن بين الوصايا التي اشتهرت ، وصية قائد جيوش المأمون، طاهر بن الحسين إلى إبنه عبد الله ولاه المأمون "الرقة" حيث يقول :

"اعلم أنك جُعِلْتَ بولايتك خازنًا وحافظًا وراعيًا، وإنما سُمي أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقَيِّمُهم تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ونفذه في قِوَام أمرهم وصلاحهم... فاستعمل عليهم في ...عملك ذو الرأي والتدبير ... ووسع عليهم في الرزق فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت.."

وشاعت هذه الوصية بين الناس وسمعها المأمون فقرأها : وقال : ما أبقى طاهر شيئا من أمر الدين والدنيا إلا وقد أحكمه وأوصى به، وأمر أن تكتب منها نسخ وترسل إلى جميع العمال في نواحي الأعمال.

المحاضرة السادسة

التوقيعات

المحاضرة السادسة : التوقيعات

التوقيع عبارة موجزة بليغة وهي ضرب من ضروب الإيجاز ، وفن من فنون العربية ، ولون من ألوان البلاغة ، ولقد ظهر هذا الفن منذ قديم الزمان فها هو الإسكندر : لما توجه تلقاء دارا رفع إليه أن دارا في ثمانين ألفا، فوقع: القصاب لا يهوله كثرة الغنم.

ورفع إلى "أنوشروان" أنّ في بطانته جماعة قد فسدت نياتهم وهم غير مأمونين على الملك ، فوقَّع: نحن نملك الأجساد لا النيات، ونحكم بالعدل لا بالرضا، ونفحص عن الأعمال لا عن

وقد تطور فن التوقيعات عند العرب ففي عصر الخلفاء الراشدين حينما اتسعت الدولة الإسلامية , واضطر الخلفاء والأمراء والولاة إلى الكتابة برأيهم على ما يرفع إليهم من مظالم ومطالب. أصبحت التوقيعات أكثر ما تكون اقتباساً من آية قرآنية أو حديث شريف أو مثل مشهور أو حكمة معترف بها .

وكتب خالد بن الوليد: إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو، فوقع إليه: أدن من الموت، توهب لك الحياة.

ووقع معاوية: نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع.[8]

[8] رفع إليه صاحب جيشه يذكر ما يشير به بعض سقاط العسكر من اغتيال العدو، فوقع :لا تستحقرن الرأي الجليل يأتيك به الرجل الحقير، فإن الدرة الكريمة لا يستهان بها لهوان الغائص .ووقع إلى بعض

عدوك الفرار، بأن لا تتبعه إذا انهزم.

وها هو ملك الصين: كتب إليه صاحب جيشه في ركض الترك على أطراف مملكته، فوقع في

حتى تمكن القدرة.

وهذا هو بطلميوس الصغر: ملك الروم: وقع حين كتب إليه عامله على الشام في انحياز بعض الملوك الكبار

مستقرة :لا تطمع في كل ما تسمع.

ونرسي بن بهرام: أحد الأكاسرة: رفع إليه أهل اصطخر يشكون احتباس القطر واشتداد القحط، فوقع :إذا

بخلت السماء بقطرها جادت يد الملوك بدرها، وقد أمرنا لكم بما يجبر كسركم ويغني فقركم.

ورفع إليه الموبذان أن فلانا يحب ابنك فاقتله، فوقع :إن قتلنا من يحبنا وقتلنا من يبغضنا يوشك أن لا يبقى

على ظهرها أحد.

وسابور بن سابور: كتب إليه عامل جور بإتيان البرد على الورد وتعذر إقامة وظيفة ماء الورد للحضرة

كالعادة كل سنة، فوقع :في سلامة النفس والدين عوض عن كل فائت، فلو لم يخلق الورد لكان ماذا.

وأنوشروان: رفع إليه أن النهر الذي حفره بالمدائن قد أضر بكثير من الضياع ضياع الناس، فوقع :الضرر

اليسير الخاص محتمل مع النفع الكثير العام.

ورفع إليه أن وكيل النفقات يبدأ كل يوم بأجر نفسه، فوقع :متى رأيتم نهرا يسقي أرضا قيل أن يشرب.

ورفع ليه أن بيت ماله قد شارف الخلاء، فوقع :الملك العادل لا يخلو بيت ماله.

ورفع إليه أن الرعية تعيب الملك باصطناعه فلانا وليس له نسب ولا شرف، فوقع :إن اصطناعنا إياه نسبه

وشرفه.

ورفع إليه أن بزرجمهر يسأله الصفح، فوقع :إذا أحصد الزرع فلم يحصد فسد.

ورفع إليه أن في بطانة الملك جماعة قد فسدت نياتهم وهم غير مأمونين على الملك، فوقع :نحن نملك الأجساد لا النيات، ونحكم بالعدل لا بالرضى، ونفحص عن الأعمال لا عن الأسرار.

ورفع إليه ما بال الهموم لا تؤثر فيكم، فوقع :لعلمنا بسرعة انتقالها عنا وانتقالنا عنها.

ووقع إلى ابنه شيرويه :ستجني ثمرة ما جنيت والسلام عليك تسليم سنة لا تسليم رضي.

لقد تطور فن التوقيعات عند العرب ففي عصر الخلفاء الراشدين حينما اتسعت الدولة الإسلامية , واضطر الخلفاء والأمراء والولاة إلى الكتابة برأيهم على ما يرفع إليهم من مظالم ومطالب.

وأصبحت التوقيعات أكثر ما تكون اقتباساً من آية قرآنية أو حديث شريف أو مثل مشهور أو حكمة معترف بها.

ولقد كان الخلفاء والأدباء يُمتدحون بروعة توقيعاتهم , قال السيوطي عن المستظهر بالله: أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله.قال ابن الأثير :كان لين الجانب، كريم الأخلاق يحب اصطناع الناس، ويفعل الخير ويسارع في أعمال البر، حسن الحظ، جيد التوقيعات، لا يقاربه فيها أحد، يدل على فضل غزير، وعلم وقال الذهبي في ترجمة السلطان الناصر قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ :دَانت لِلنَاصِر السَّلاَطِيْن، وَدَخَلَ تَحْتَ طَاعته المخَالفُوْنَ، وَذلَّت لَهُ العُتَاة، وَانقهرت بسيفه البُـغَاة، وَاندحض أَضدَاده، وَفتح البِلاَد العَدِيْدَة، وَملك مَا لَمْ يَملكه غَـيْـرُه، وَخُطِبَ لَهُ بِالأَنْدَلُسِ وَبِالصّين، وَكَانَ أَسد بَنِي العَبَّاسِ تَتصدَّع لهيبته الجِبَال، وَتذل لسطوته الأَقيَال، وَكَانَ حَسَنَ الخلق أَطيف الخُلق، كَامِل الظّرف، فَصِيْحاً، بَلِيْغاً، لَهُ التَّوقيعَات المُسَدّدَة وَالكَلِمَاتَ المُؤيدَة، كَانَتْ أَيَّامه غرَّة فِي وَجه الدَّهْر، وَدرَة فِي تَاج الفَخْر.

من نماذج التوقيعات عند الخلفاء ,وقع عثمان رضي الله عنه لرجل شكا فقرا : قد أمرنا لك بما يقيمك وليس في مال الله فضل للمسرف.

وكتب خالد بن الوليد: إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو، فوقع إليه :أدن من الموت، توهب لك الحياة.

وكتب سعد بن أبي وقاص: إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الكوفة يستأذنه في بناء دار الإمارة، فوقع إليه :أبن ما يستر من الشمس ويكن من المطر.

وكتب إليه نفر من أهل مصر يشكون مروان بن الحكم، فوقع في كتابهم "\ :فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون"\ .

وكتب الحسين إلى علي – رضي الله عنهما – في شيء من أمر عثمان ابن عفان رضي الله عنه، فوقع إليه :رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.

وكتب إليه الحضين بن المنذر بصفين: يا أمير المؤمنين قد أسرع السيف في ربيعة، وخاصة في أسرى منهم، فوقع إليه :بقية السيف أنهى عددا.

ووقع معاوية :نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع.

وكتب إليه الحسن بن علي – رضي الله عنهما – كتابا أغلظ له فيه القول، فوقع إليه :ليت طول حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك.

وكان عمر بن عبد العزيز يتحسس أخبار ولاته ويراقبهم ويحاسبهم على تقصيرهم فقد كتب إلى أحدهم يقول) :لقد كثر شاكوك وقل شاكروك، فإما عدلت، وإما اعتزلت والسلام .(عمر بن عبد العزيز.

وكتب عامل حمص إلى عمر بن عبد العزيز يخبر أنها احتاجت إلى حصن، فوقع :حصنها بالعدل، والسلام.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان في كتابه يشكوا إليه أهل العراق، فوقع :ارفق بهم فإنه لا يكون مع الرفق ما تكره ومع الخرق ما تحب.

وكتب مسلمة بن عبد الملك إلى أخيه سليمان من الصائفة بما كان منه من حسن الأثر في بلاد الروم، فوقع

كتابه :ذلك بالله لا بالمسلمة.

ورفع متظلم قصة إلى هشام بن عبد الملك، فوقع فيها :أتاك الغوث إن صدقت، وجاءك النكال إن كذبت.

وكتب نصر بن سيار: والي خراسان إلى مروان بن محمد آخر ملوك بني مروان بظهور أبي مسلم، فوقع في كتابه :احسم ذلك التزلزل من جهتك.

وكتب إليه يزيد بن هبيرة أن قحطبة قد غرق وأنه واقع أصحابه فهزم، فوقع :هذا والله الإدبار وإلا فمن سمع بميت هزم حيا.

ولما أيس مروان من أمره كتب إلى عبد الله بن علي يوصيه بالحرم، فوقع في كتابه :الحق لنا في دمك وعلينا حرمك.

ووقع في قصة متظلم من علي بن هشام: يا أبا الحسين :الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر الرجلين أنت ووقع في رقعة إبراهيم بن المهدي، وقد سأله تجديد الأمان :القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله.

ووقع إلى الواقدي، وقد كتب يذكر دينا عليه ويستمنح :فيك خصلتان: سخاء وحياء؛ أما السخاء فهو الذي أطلق يدك فيما ملكت، وأما الحياء فهو الذي حملك على أن ذكرت بعض دينك دون كله، وقد أمرت لك بضعف ما كتبت، فزد في بسط يدك، فإن خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطة.

وها هو أبو عبد الله: الكاتب المهدي: كتب إليه رجل يعتذر ولا يحسن، فوقع في كتابه :ما رأيت عذار باستئناف ذنب من هذا.

وجعفر بن يحي: من توقيعاته :الخراج عمود الملك، وما استغزر بمثل العدل وما استنزر بمثل الجور.

ووقع في رقعة معتذر من ذنب :قد تقدمت طاعتك وسبقت نصيحتك، فإن بدرت منك هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين.

وقال محمد بن يزيد النحوي: بعث ابن أبي عون حاجب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى محمد بأنوار من بستانه وريحان، وكتب معه:

قد بعثنا بطيِّب الرِّيحان * * * * خيرَ ما قد جُنى من البستانِ

قد تخيَّرته لخيرِ أميرٍ * * * * زانه الله بالتقى والبيانِ

فوقع على ظهر رقعته :عونُ يا عونُ قد ضللت عن القصد وعميتَ عن دقيقِ المعاني حشوُ بيتيك \"قد وقد\"فإلى كم قدّك الله بالحسام اليماني

المحاضرة السابعة

فن المقامة

المحاضرة السابعة : فن المقامة

تعريف المقامة :

المقامة إحدى فنون الأدب العربي النثرية المطعمة أحياناً بالشعر، وهي أقرب الى أن تكون قصة قصيرة مسجوعة، وحكاية خيالية أدبية بليغة، ينقلها راوٍ من صنع خيال الكاتب يتكرر في جميع المقامات، يصوره وكأنه قد عاش أحداثها، ولها بطل إنساني مشّرد شحاذ ظريف ذو أسلوب بارع وروح خفيفة، يتقمص في كل مرة شخصية معينة، يضحك الناس أو يبكيهم أو يبهرهم ليخدعهم وينال من أموالهم، ضمن حدث ظريف فحواه نادرة أدبية أو مجموعة مسائل دينية أو مغامرة هزلية تحمل في طياتها لوناً من ألوان النقد والسخرية وسقوط القيم لتمثل صور من الحياة الاجتماعية في العصر الذي كتبت فيه، وتقوم على التفنن في الإنشاء، والاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب، بحيث تتقدم على الشعر بمحسناتها اللفظية والبديعية، وتشتمل على كثير من درر اللغة وفرائد الأدب والحكم والأمثال والقطع النثرية والأشعار الغريبة في بابها، وتدخل ضمن فن الفكاهة، وهدفها الأساس تعليم الناشئة أصول اللغة والقدرة على النظم والتفنن في القول. قال صاحب صبح الأعشى: وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها. فمعنى المقامة في اللغة: المجلس.

أركان المقامة:[9]

تقوم المقامة على ثلاثة أركان: الراوي، والبطل، والنكتة

مقومات الشكل:

تعتمد المقامة في صياغتها وأسلوبها على التزام السجع، والإغراق في الصنعة اللفظية وتوظيف غريب اللغة، والمحسنات البديعية المختلفة لا سيما الجناس منها، وفنون البلاغة المتنوعة من تشبيهات وكنايات واستعارات واقتباس، ومقابلة وموازنة وما إلى ذلك، فهي فن تزويق وتأنق

اسم المقامة وطولها :

غالباً ما تؤخذ أسماء المقامات من اسم البلد الذي انعقد فيه مجلسها، فمن أسماء الحريري مثلاً: المقامة الصنعانية، المقامة الحلوانية، المقامة الكوفية، المقامة المراغية، المقامة المقامة البغدادية، المقامة السنجارية، ....، وتختلف المقامات فيما بينها في الطول، فقد تكون طويلة، وقد تكون قصيرة.

[9] الراوي:يكون في كل مقامة راوٍ معين باسمه، يتكرر في جميع المقامات، فراوي مقامات الهمداني مثلاً هو (عيسى بن هشام) وراوي مقامات الحريري هو (الحارث بن همام) ..وهو من ينقلها عن المجلس الذي تقع فيه، ينتمي في غالب الأحيان الى طبقة اجتماعية متوسطة، يتابع البطل أو يصادفه، ويمهد أحياناً لظهوره، ويبدو وكأنه يتبعه أينما مضى، ويحسن طريقة تقديمه، ويسخط في غالب الأحيان على أخلاق البطل واحتياله وخداعه، ولا يكتشف أمره أحياناً إلا في نهاية المقامة.

تأثير المقامة العربية في أدب العالم:

يشير بعض النقاد الى أن المقامة العربية قد أثرت في الأدب الغربي تأثيراً واسعاً، فقد أثار بعض الباحثين مسألة تأثيرها في (الكوميديا الإلهية) لدانتي، وكان لأثرها بروزٌ كبيرٌ وواضحٌ في قصص الشطّار الأسبانية التي تتحدث عن أحوال المجتمع وظروف الأغمار من الناس وقصص الطماعين والشحاذين، مما أوحى به مضمون المقامة، واعترف به المهتمون بالأدب الأندلسي استناداً الى المقارنات التي عقدوها بين المقامة والأدب السردي في أوربا.[10]

---

[10] البطل (الشحاذ) :

ويكون لكل مجموعة مقامات معينة أيضاً بطل قصتها الذي تدور حوله، وتنتهي بانتصاره في كل مرة، وهو يتكرر في جميع المقامات تماماً كالراوي باسمه وشخصه، فبطل مقامات الهمداني مثلاً هو (أبو الفتح الأسكندري)، وبطل مقامات الحريري هو (أبو زيد السروجي)، وهو شخص خيالي – غالباً – مخادع ينتمي الى شريحة المحتالين الأذكياء البلغاء، الذين يستخدمون الحيلة والفطنة والدهاء في استلاب الناس أموالهم، لذا فإن أبرز ميزات البطل الشحاذ هي أن يكون خفي المكر، لين المصانعة، فتيق اللسان، شديد العارضة، مفوهاً حذاقياً، واسع المعرفة في صنوف الأدب وغريب اللغة وأحكام الدين وصنوف العلم، فهو شاعر وخطيب وواعظ، يتظاهر بالإيمان والزهد ويضمر الفسق والمجون، ويتصنع الجد ويخفي في طياته الهزل، ويظهر غالباً كشخص مسكين متهالك بائس، إلا أنه في واقع الأمر طالب منفعة.

والحقيقة أن الشخصية التي يستشعرها القارئ ليست شخصية البطل الأسطوري هذا وإنما هي شخصية المقامة الذي ينبغي له أن يكون واسع الاطلاع على مختلف الفنون والعلوم، قدير في النظم والنثر والخطابة،

الملاحظة حاد الفكرة في حل الألغاز وكشف المبهمات، وهو بنفس الوقت هزل مرح النفس أمام الصعوبات واجتيازها.

النكتة:

تدور كل مقامة من المقامات على نكتة خاصة وفكرة معينة يراد إيصالها عن طريق البطل الشحاذ، وتكون عادة فكرة مستحدثة، أو ملحة مستظرفة، وقد تستبطن فكراً جريئاً لا يدفع غالباً الى تبني السلوك الإنساني الطبيعي، أو الحث على مكارم الأخلاق، وموضعات المقامات تكون مختلفة، فمنها ما هو لغوي، أو أدبي، أو بلاغي، ومنها ما هو فقهي ، أو حماسي أو فكاهي، ومنها ما هو خمري أو مجوني، بحيث تترادف المقامات في مواضيع مختلفة خالية من النسق والترتيب أو يكون ترتيبها غير ظاهر الترابط بوضوح، فكل مقامة تعتبر وحدة قصصية قائمة بنفسها تعتمد وحدة المكان غالباً. ويغلب المقامات عادة الفكاهة والملح امقامة بديع الزمان الهمداني – المقامة البغدادية

حَدَّثَنَا عِيَسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ، وأَنَا بِبَغْدَاذَ، وَلَيسَ مَعْي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرْجْتُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيُطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ، فَقَالَ زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللهُ الشَّيطَانَ، وَأَبْعَدَ النِّسْيانَ، أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ، وَاتْصَالُ فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌ كَعَهْدي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ، إِلي الصِدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلى خَصْرِي بِجُمْعِهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ، عَاطِفَةُ اللَّقَمِ، وَطَمِعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقاً، وَتَتَسَايَلُ جُوادِبَاتُهُ

افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذا الشِّواءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الحَلْواءِ، واخْـتَـرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْباقِ، وانْضِدْ عَلَـيْـهَا الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئَاً مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ، لِيأَكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيَّاً، فَأَنْخَى الشَّوّاءُ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةِ تَـنُّورِهِ، فَجَعَلها كَالكُحْلِ سَحْقاً، وَكَالطِّحْنِ دَقّا، ثُمَّ جَلسَ وَجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ وَلا يَئِسْتُ، حَتَّى اسْتَوفَـيْـنَا، لِصَاحِبِ الحَلْوَى: زِنْ لأَبي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينج رِطْلَيْنِ فَـهْوَ أَجْرَى فِي الحُلْوقِ، وَأَمْضَى فِي العُرُوقِ، وَلْيَكُنْ العُمْرِ، يَـوْمِيَّ النَّشْرِ، رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفِ الحَشْو، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ لِيَأْكُلَهُ أَبَوَ زيْدٍ هَنِيَّاً، قَالَ: فَـوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ، حَتىَّ اسْتَوْفَـيْـنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ، وَيَفْثأَ هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَاَ زَيْدٍ حَتَّى بِسَقَّاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرْبةِ ماءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ ولاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأتُ عَلَيْهِ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفَاً، لَكْمَةً، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زِنْ يَا أَخَا القِحَةِ عِشْرِينَ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهْوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ،

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلـهْ *** لاَ تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَـهْ

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمةٍ *** فَالمَرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَهْ

المحاضرة الثامنة

الأمثال

المحاضرة الثامنة: الأمثال

الأمثال :

أبدع معظم العرب في ضرب الأمثال في مختلف المواقف والأحداث، وذلك لحاجة الناس العملية إليها، فهي أصدق دليل يتحدث عن الأمة وتفكيرها وعقليتها ، و تقاليدها وعاداتها ، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير وهو أقوى دلالة من الشعر في ذلك لأنه لغة طائفة ممتازة ، فهي لغة جميع الطبقات.

تعريف المثل: هو قول محكم الصياغة، قليل اللفظ، موجز العبارة، بليغ التعبير، يوجز تجربة إنسانية عميقة، مضمرة ومختزلة بألفاظه، نتجت عن حادثة أو قصة قيل فيها المثل، ويضرب في الحوادث المشابهة لها، فهو فن أدبي نثري ذو أبعاد دلالية ومعنوية متعددة، انتشر على الألسن، له مورد وله مضرب.

من أسباب إنتشار الأمثال وشيوعها:

خفته وحسن العبارة، وعمق ما فيها من حكمة لاستخلاص العبر، إصابتها للغرض المنشودة منها، الحاجة إليها وصدق تمثيلها للحياة العامة ولأخلاق الشعوب.

خصائص المثل:

يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: " إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبية، وجودة الكتابة، إضافة إلى قوة العبارة والتأثير، فهو نهاية البلاغة. والأمثال في الغالب أصلها قصة، إلا أن الفروق الزمنية التي تمتد لعدة قرون بين ظهور الأمثال ومحاولة شرحها أدت إلى احتفاظ الناس بالمثل لجمال إيقاعه وخفة ألفاظه وسهولة حفظه، وتركوا القصص التي أدت إلى ضربها. وفي الغالب تغلب روح الأسطورة على الأمثال التي تدور في القصص [illegible] ومن مثل الأمثال الواردة قصة ثأر امرئ القيس لأبيه ومنها :" ضيعني صغيرا وحملني ثأره كبيرا". وربما يستطيع المحققون بجهد أن يردوا بعض هذه الأمثال لأصحابها ومبدعيها، فمن حكماء العرب عدد كبير قد اشتهر بابتكاره وإبداعه للأمثال، بما فيها من عمق، وإيجاز، وسلاسة، يقول الجاحظ: " ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفي، وربيعة بن حذار، وهرم بن قطيعة، وعامر بن الظرب، ولبيد بن ربيعة . وأحكمهم أكثم بن صيفي التميمي، تدور علي لسانه حكم وأمثال كثيرة، وهي تجري علي هذا النسق : " رب عجلة تهب ريثا "ـــ " ادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل. المرء يعجز لا محالة ". " لا جماعة لمن اختلف "ـــ

ولكن أمثال العرب لم تأت على مثل هذه الدرجة من الرقي والانضباط الأسلوبي، مثل التي جاء بها أكثم، بل إن كثيرا من الأمثال الجاهلية تخلو من التفنن التصويري، وهذا بطبيعة

فإنها ترد على الألسنة عفوا وتأتي على ألسنة العامة لا محترفي الأدب، فلم يكن من الغريب أن يخرج بعضها علي القواعد الصرفية والنحوية دون أن يعيبها ذلك مثل :

أعط القوس باريها (بتسكين الياء في باريها والأصل فتحها).[11]

[11] وأيضا (أجناؤها أبناؤها) جمع جان وبان والقياس الصرفي جناتها بناتها لأن فاعلا لا يجمع علي أفعال وهذا يثبت أن المثل لا يتغير بل يجري كما جاء علي الألسنة وأن خالف النحو وقواعد التصريف . وبعض الأمثال يغلب عليها الغموض وقد تدل تركيبتها على معنى لا تؤدي إليه الكلمات بذاتها، ومن ذلك قول العرب: (بعين ما أرينك)؛ أي أسرع. ولم يكن هذا النوع من الأمثال هو الوحيد بل هناك أمثال صدرت عن شعراء مبدعين وخطباء مرموقين فجاءت راغبة الأسلوب متألقة بما فيها من جماليات الفن والتصوير مثل: أي الرجال المهذب، فهذا المثل جزء من بيت للنابغة يضرب مثلا لاستحالة الكمال البشرين. والبيت: ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث. أي الرجال المهذب. ويصعب تمييز المثل الجاهلي عن الإسلامي. إلا بما يشير إليه من حادث أو قصة أو خبر، يساعد على معرفته وتمييزه مثل: " ما يوم حليمة سر"، وحليمة بنت ملك غسان. فهو في عصر الإسلام والمثل: " اليوم خمر وغدا أمر". هو في العصر الجاهلي والأمثال ذات قالب ثابت البنية، إذ هو ذاته يستعمل في كل الأحوال، وهي تنقسم إلى 03أقسام من حيث

المحاضرة التاسعة

أدب الرحلات

المحاضرة التاسعة : أدب الرحلات

أدب الرحلات :

هو ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان.[12]

وقد ذهب الرحالة المسلمون إلى أماكن كثيرة لأسباب شتى، وبعضهم كان يدوِّن ويسجلها قصة باقية عبر العصور. فمن أسباب تدوين الرحلات أن يطلب الحاكم من الرحالة تدوين الرحلة، أو يطلب الأصدقاء ذلك، وقد تكون رغبة الرحالة أنفسهم في إفادة القراء

[12] وتأتي رحلة البيروني (ت 440 هـ)، المسماة تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، فذًّا مخالفًا لكل ما سلف، إذ تُعد وثيقة تاريخية هامة تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية إلى دراسة مجتمعات الهند قديمًا، ، إذ يتناولها البيروني بالتحليل، ويقارن بينها وبين اللغة العربية على نحو جديد.
ثم ياتي بن بطوطة وهو أعظم رحالة المسلمين، وقد بدأت رحلته عام 725 هـ من طنجة بالمغرب إلى المكرمة، وظل زهاء 29 سنة يرحل من بلد إلى بلد، ثم عاد في النهاية ليملي مشاهداته وذكرياته على أديب كاتب يدعى: محمد بن جُزَيّ الكلبي بتكليف من سلطان المغرب وسمَّى ابن بطوطة رحلته تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. وروى ابن بطوطة مشاهداته لبلدان إفريقية وكان هو أول مكتشف لها، كما صور الكثير من العادات في مجتمعات الهند بعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي لها. والرحلة، في صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري، وإبرازٌ لجوانب مشرقة للحضارة الإسلامية والإخاء الإسلامي بين شعوبه، بما لا نجده في المصادر التاريخية التقليدية.

بالجديد، ومن الأسباب أيضاً أن يهتدي المسافرون بهذه الرحلة المدونة فتكون دليلاً لهم، لإبراز مناسك الحج والعمرة، وإعانة المسلمين على معرفة الديار المقدسة وكيفية الوصول إليها والتجول فيها، وللتأريخ للبلدان وحضارتها وشعوبها، وللتعريف بالبلدان الغريبة وأبرز معالمها وعجائبها وعاداتها وتقاليدها.

دوّن الرحالة في مذكراتهم أخباراً ومشاهد و أوصافاً وتعليقات وملاحظات موجزة، ثم عمدوا إلى تهذيبها وصوغها بأسلوب جميل، إما في أوقات الراحة في أثناء السفر، وإما بعد الرجوع من السفر. ويشرع الرحالة المغامر أحياناً في سرد حكاياته وقصصه ومغامراته على الكاتب الذي يصوغها بأسلوبه الجميل، وقد اعتمد الرحَّالة العربي على النظر فيما يكتبه ويرويه، كما اعتمد على السمع،وعلى قراءة ومطالعة الكتب والأخبار.

ومن الصفات الحميدة التي اتصف بها الرحالة المسلم :

الصدق والأمانة في الأخبار التي يرويها، وفي وصفه للمناظر والمشاهدات والحوادث، ومنها الذكاء وسعة الأفق وعمق التفكير، وإعمال التأمل، والموضوعية وعدم التحيز، وحبُّ البحث والتمحيص والنقد والتحليل.

إهتمامات الرَّحَّالة في كتاباتهم؟

- ما يتصل بالرحلة ذاتها، من الاستعداد لها وتجهيز الخرائط وذكر صعوبة الرحلة.

• اضطر بعض هؤلاء الرحالة للعمل بالتجارة للإنفاق على تلك الرحلات، فراقبوا الاقتصاد، وتحدَّثوا عن المراكز التجارية والتبادل التجاري، وعن الصناعة والزراعة.

• اهتموا بطباع الناس وطبقاتهم وألوانهم وانتماءاتهم وصفاتهم ولغاتهم.

• ذكروا علماء تلك البلدان، وتحدثوا عن مدارسها ومساجدها، وعن الأدباء والأطباء والمشافي والعمران.

• صوَّروا الطبيعة بتضاريسها من جزر وجبال وسهول ووديان وأنهار وهضاب.

أسلوب كتابة الرحلة:

يعمد الرحّالة إلى تضمين الرحلة بعضاً من آيات القرآن الكريم والأشعار، ويرون في ذلك تأكيداً لكلامهم، كما يشيع في الرحلة الحوار، والمشهد القصصي فيها مستمر، والوصف من أدواتها الرئيسة، ومن أجل إضفاء الحيوية، وإبعاد الملل، وإثارة التشويق لدى القراء، اعتمد كتاب الرحلات على خلط الجد بالهزل، ونثر عناصر الفكاهة في كتبهم.

أدب الرحلات في التاريخ العربي والإسلامي :

عرف تاريخنا العربي والإسلامي أدب الرحلات منذ القدم، وكانت العناية به عظيمة في سائر العصور. ولعلَّ من أقدم نماذجه رحلة التاجر سليمان السيرافي بحراً في المحيط الهندي في

الثالث الهجري، ورحلة سلام الترجمان إلى حصون جبال القوقاز عام 227 هـ، بتكليف من الخليفة العباسي الواثق؛ للبحث عن سدِّ يأجوج ومأجوج.

ثم تأتي رحلات كلٍّ من المسعودي مؤلف كتاب (مروج الذهب)، والمقدسي صاحب (أحسن التقاسيم ومعرفة الأقاليم)، والإدريسي الأندلسي في (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، هذا بالإضافة إلى رحلة الرحالة المؤرخ عبد اللطيف البغدادي.

أخيراً..يُعدُّ أدب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءته مفيدة وممتعة ومسلية.

قائمة المراجع

1. الأدب الجاهلي(قضايا، وفنون، ونصوص) حسيني عبد الجليل يوسف، دار الوفاء، مصر،ط1، 2007
2. في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف، مصر،ط11، 1975
3. تاريخ الأدب العربي القديم،ل:عادل جابر صالح محمد، شقيق محمد، الرقب، دار المستقبل، الأردن، دط، دن
4. المختار من الأدب الجاهلي، محمد التوتجي، منشورات جامعة حلب، ط1، 1978
5. العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر،ط16، 1995
6. مقدمة إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان
7. الكامل، الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد.4أجزاء،مؤسسة الرسالة،ط3، 1997
8. الشعر والشعراء لابن قتيبة جزءان دار الحديث القاهرة، 2003
9. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني
10. البداية والنهاية للإمام إبن كثير(3أجزاء).
11. الدولة الأموية: للشيخ محمد الحضري لبنان: دار الفكر العربي، 2004
12. الدولة العباسية: للشيخ محمد الحضري لبنان: دار الفكر العربي، 2004
13. الخلافة العباسية: عبد المنعم الهاشمي. دار إبن .....ط1، 2003

14. الموسوعة الثقافية العامة (الأدب العربي) فواز الشعار. لبنان: دار الجبل، دط، دن

15. الموسوعة الثقافية العامة (علم العروض والقافية) راجي الأسمر. دط، 2005

16. صور من الشعر الاجتماعي في العصر العباسي .د. سعد الله الحارثي. جامعة أم القري. دط ، دن

17. المكتبة الشعرية في العصر العباسي(132\656) د. مجاهد مصطفى بهجت. دط، 1998

18. روائع من الأدب العربي (العصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي) د.هاشم صالح مناع.بيروت:دار الفكر العربي، دط، 1993

19. النثر في العصر العباسي .د.هاشم مناع .د.مأمون ياسين. دار الفكر العربي، دط ،1999

20. نساء الخلفاء المسمى زوجات الأئمة الخلفاء من الجرائر والإماء. ابن الساعي، دار المعارف ،دط،دن.

21. العصر العباسي الأول، شوقي ضيف

22. العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف

23. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي

24. أدباء الأعصر العباسية، بطرس البستاني

25. القصيدة العباسية، عبد الله التطاوي

26. الشعر في إطار العصر الثوري، عز الدين إسماعيل

27. التفسير العلمي للأدب، نبيل راغب.

28. الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، حسني عبد الجليل يوسف .

29. شرح القصائد السبع الطوال، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، المكتبة المصرية،بيروت.ط1 ،2002

30. خزانة الادب البغدادي.

31. الشعر السياسي الأندلسي، محمد شهاب العانى.دار الأردن.2008 ، ط1.

32. تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف و المرابطين).إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن، ط1.

33. أدب العرب في عصر الجاهلية، الدكتور حسين الحاج حسن.

34. في الأدب الأندلسي- الدكتور : جودت الركابي .

35. التطور والتجديد في العصر الأموي – شوقي ضيف.

36. الفن ومذاهبه في النثر العربي – شوقي ضيف.

37. من قضايا الأدب الإسلامي – وليد ابراهيم قصاب.

38. حضارة العرب في العصر الأموي ، د. حسين الحاج حسن.

39. المطرب من أشعار أهل المغرب: لأبي الخطاب عمر بن دحية